مجلة جامعة ابن رشد

في هولندا

دورية علمية محكّمة تصدر فصليا

العدد السابع

السعر 10 يورو

مجلة

جامعة ابن رشد في هولندا

دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا

هيأة التحرير

رئيس التحرير	أ.د. تيسير عبدالجبار الآلوسي
نائب رئيس التحرير	أ.د. عبدالإله الصائغ
سكرتير التحرير	أ.د. حسين الأنصاري
مدير التحرير	أ.م.د. صباح قدوري

أعضاء هيأة التحرير	الدكتور عبدالرحمن الجبوري
	الدكتور سمير جميل حسين
	الدكتور محمد عبدالرحمن يونس
	الدكتور معتز عناد غزوان
	الدكتور صلاح كرميان
	الدكتور جميل حمداوي

عنوان المراسلة

Lorsweg 4, 3771 GH, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411

رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.

الهيأة الاستشارية

أ.د. جميل نصيف	المملكة المتحدة
أ.د. عايدة قاسيموفا	أذربيجان
أ.د. عميراوي احميده	الجزائر
أ.د. عامر المقدسي	مصر
أ.د. محمد عبدالعزيز ربيع	الولايات المتحدة الأمريكية
أ.م. خليف مصطفى غرايبة	الأردن

ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

الاشتراك السنوي	الأفراد	المؤسسات
لمدة سنة	60	80
لمدة سنتين	110	150
لمدة ثلاث سنوات	160	200

طبعت بمطابع مجلة كه وانة [القوس] الكوردستانية ومجلة برقو

حقوق الطبع والنشر محفوظة لجامعة ابن رشد في هولندا

الفهرس

	ص.
مفتتح	أ، ب
الأدب وعلوم اللغة و الفلسفة	001
شهريار وشهرزاد في الخطاب الشعري العربي المعاصر الدكتور محمد عبالرحمن يونس	002
لسانيات النص من المفهوم إلى الآليات الإجرائية الدكتورة عايدة حوشي	042
عتبة الإهداء الدكتور جميل حمداوي	065
دراسة جديدة فى السجع نشأته و مراحله الفنيه فى العصر الجاهلى الدكتور: غلامرضا كريمي فرد، و احمد سرخه	081
الفلسفة	96
إسهامات الفلاسفة المسلمين في الحركة النقدية ابن رشد – نموذجا- الدكتور سليم بتقه	97
الفنون	106
الكتابة الجديدة في المسرح العراقي يوسف العاني نموذجاً أحمد شرجي	107
الاقتصاد و إدارة الاعمال	136
قطاع الطاقة والأزمة المالية العالمية أستاذة آسيا طويل	137
العلوم النفسية والتربوية	174
اتجاهات معلمي الرياضيات والعلوم نحو عمليات التخطيط للتدريس الدكتور محارب علي الصمادي	175
الحديقة المزخرَفة في حواشي القهوة المرتشَفة أ. عادل لخضر	203

لســـانيـــات النـص من المفهوم إلى الآليات الإجرائية

الدكتورة عايدة حوشي
جامعة بجاية

ملخص
تهدف هذه الدراسة إلى إبراز فاعلية البلاغة في لسانيات النص من خلال إسهامات البلاغيين الغربيين و العرب القدامى، ممّا لجهودهم من أثر بارز في المفاهيم المعاصرة التي واكبت لسانيات النص بعد الستينيات من القرن التاسع عشر، ناهيك عن الآليات الإجرائية التي تهم تحليل لغات النصوص و أساسياتها الوظيفية، إلى جانب المداخل التي عنيت بالتحولات من نحو الجمل إلى نحو النصوص. لأجل إبراز هذه المسائل يأتي هذا المقال لتفعيل فكرة البلاغة و لاسيما الأسس الإجرائية المعتمدة في لسانيات النص.

Abstract
This study aims to highlight the effectiveness of the rhetoric in text linguisticsthrough contributions of western rhetorician and ancient Arabs than for their efforts a significant impact oncontemporary concepts that had accompanied the text linguistics afterthe sixties of the nineteenth century,not to mention the procedural mechanismsinterest to the analysis of the languages of the texts and its functional principles, along with portlets that are interested in transformations from sentences grammar to texts grammar. In order to highlightthese issues this article comes to activate the idea of rhetoric, especially proceduralgrounds in text linguistics.

اهتم البلاغيون القدامى بالظاهرة النصية قبل ظهور لسانيات النص بوقت طويل، حيث شكّلت الدراسات البلاغية الكلاسيكية[1] الأرضية الخصبة لهذا المجال العلمي الهام عبر فن المرافعة و مسألة الإقناع، فلقد اعتمد السوفسطائيون* الخطابةَ في التأثير على الجماهير، وكانوا المؤسسين الفعليين لها والممهدين لأعمال أفلاطون (Platon)و أرسطو(Aristote)، حيث اشتهر جورجياس (Gorgias)" بقدرته على استعمال الكلمات الشعرية ليؤثر بذلك في المستمع ويتلاعب بعواطفه، و كان أول خطيب ينبري لإظهار أهمية الخطابة باعتبارها من أهم مقومات الممثل و السياسي بما لها من قدرة على التأثير والإقناع"[2]؛ فإقناع الآخر من أهم العوامل المساهمة في توصيل لغة النص بطريقة تجعله أكثر إبلاغا من نص قد لا يقنع ولا يؤثر في مستقبليه، لأنه في هذه الحال يعيق التواصل حسب أفلاطون[3]، حيث ينبغي علينا في مستوى الشعر مثلا " أن نراقب الشعراء ونحملهم على أن يبرزوا في إنتاجهم صورة الخلق الخير، و إلا عاقبناهم بالحرمان من التأليف"[4]؛ لأن الفائدة من النص ليست حفظه وحسب إنما حفظه بفهمه وإيصاله إلى الآخر بالطريقة المثلى. أمّا الخطابة فقد لحقت بالشعر في رأيه؛ لأنه لم يكن يعتبرها آداة للتكوين السياسي للمواطن كما أنّها تتغذى من أفكار مائعة.
ارتبطت ظاهرة المرافعة بمسألة الخطابة كما تناولت كل واحدة منهما(الخطابة والمرافعة) عملية توصيل النص إلى الآخر، فهما عنصران هامان يدخلان ضمن الإرهاصات التأسيسية للسانيات النص الحديثة. لقد شرع أرسطو فن المرافعة في كتابه الخطابةبهذا التساؤل:" كيف نؤثر في نفوس الحكام؟"[5]لأنّ المرافعات من مشمولات الخطابة كما يواصل أرسطو الشرح:"ومن أجل أنّ الريطوريقا (الخطابة) إنما تكون في أمور الحكومة؛ لأنهم قد يحكمون في المشورات ثم الأحكام أيضا من الحكومة؛ فقد يجب اضطرارا أن ينظر ليس في المُثبْتَت المُصَدَّق من الكلام فقط و أنْ كيف يكون، بل الذي يُصيِّر الحاكم إلى الضَّعْف و المَيْل أيضا، فإنّه قد يختلف التصديق جدا، و لاسيما في المشورات ، ثم في الحكومات من بَعْدُ بأن يَعْرف الحاكم أيُّ امرئ هو...و أمّا المعرفة بالمتكلم أي امرئ هو فإنّها تعين بزيادة عند التشاور، و أما المعرفة بالسامع بأية حال هو ففي الحكومات، لأنه ليست أحكامهم فيمن أحبوه ومن قلدوه شيئا واحدا و لا فيمن كانوا غضابا عليه أو كافّين عنه بل هي مختلفة البتة، أو مختلفة في العدد و المبلغ، فإن الحاكم قد يتلون في الحكم على من يحكم عليه..."[6]. الذي يلفت انتباهنا في هذا المقطع من كتاب (الخطابة)هو أن النّص قد شكل بالنسبة لأرسطو وسيلة توصيلية هامة لمجموع من الأفكار و الرؤى في المحاكمات، و الهام في هذه المسألة أنها أخذت أبعادها بحسب أصحاب النصوص و الغاية التي رسموها

لها، حيث وصف أرسطو ظواهرها بشكل كلي غير تخصيصي للسمات البلاغية و اللغوية عموما، و ذلك رغم كونه قد أسهب عبر الكتاب نفسه في شرح الجوانب البلاغية للخطابة والعلامات النصية المختلفة. و لعله قد أراد في ذلك أن يهتم بإبراز الفاعلية الكبرى لما يحيط ببنية النص اللغوية و يخدمها في الوقت نفسه.

يقول فولفجانج هاينه مان (Wolfgang Heinemann) و ديتر فيهجر (Dieter Viehweger):" يحتل بؤرة التفكير البلاغي دائما السؤال عن تحقق تأثير اتصالي مثالي(على نحو ما يمكن أن نقول اليوم)، حدوث نجاح في الإقناع بمساعدة وسائل بلاغية خاصة، و بهذا المعنى يمكن أن تفهم البلاغة على أنها مجموع المفاهيم والقواعد الخاصة بمواجهة مؤثرة في الجمهور، أي فن الخطاب الجيد.(فن قول شيء جيد مصيب، على أنها القول البليغ؛ الذي كان يعنى دائما بالتشكيل الزخرفي والمنمق لموضوع ما"[7]؛ لأن الإقناع في أي نص من النصوص يؤدي إلى حدوث الاتصال الإيجابي بين النص و مستقبليه؛ لأجل هذا حدد أرسطو"مسألة إثارة الانفعالات(كالشفقة، والخوف، و الغضب، و ما شابه ذلك)"[8]؛ أي ضمن الحدود اللغوية التابعة للنص ومستلزماته الإيصالية، كعيّنة من جملة العيّنات التي تساهم في الإقناع على اختلاف طرائقه اللغوية و غير اللغوية و على اختلاف أجناس النصوص.

تشغل مسألة المطابقة و فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية مساحة هامة من مساحات الاشتغال بالنص ومقوماته اللغوية و غير اللغوية، فـ" البلاغة في الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها"[9]، لاسيما أنّ مقتضى الحال هو:" ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص، و لن يطابق الحال إلاّ إذا كان وفق عقول المخاطبين، و اعتبار طبقاتهم في البلاغة، و قوتهم في البيان و المنطق، فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه، والغرض الذي يبنى له و لسراة القوم و الأمراء فن آخر لا يسد مسده سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات..."[10]، ناهيك عن مستويات النصوص من الناحية اللغوية و التي تتحكم بدورها في المقتضى، إلى جانب الكفاءة التي يجب أن تلف النصوص بما تمليه من قدرات صاحب النص، حيث عليه أن يراعي العقل المستقبل لنصه في حدود الطبقة الموجه إليلها الملفوظ أو المكتوب على السواء، فهذا ما من شأنه أن يجعل للبلاغة أهمية بارزة في تشكلات النصوص و لاسيما الظروف المحيطة بها أيضا.

ترجع بدايات هذه الفكرة إلى بشر بن المعتمر؛ حيث شكّلت " محورا أساسيا في صحيفته، ولعل أول نصوص هذه الصحيفة تعبيرا عن فكرة (مقتضى الحال)، كلام بشر حين(مرّ بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة و هو يعلم فتيانهم الخطابة... فكنّ في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، و فخما سهلا، و يكون معناك ظاهرا مكشوفا، و قريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، و إما عند العامة إن كنت للعامة أردت، و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، و كذلك ليس يتضّع بأن يكون من معاني العامة، و إنّما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال، و ما يجب لكل مقام من المقال)؛ و يدل سياق هذا النص على أن فكرة مقتضى الحال إنما أتت في إطار التنظير لبلاغة الخطابة... لذا ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما و لكل حالة من ذلك مقاما"[11]. نفهم ممّا تقدم أنّ فكرة مقتضى الحال هي فكرة تلف النصوص ضمن أبعاد بلاغة الخطابة، فما من نص يمكنه تفاديها و إلا ذهبت عنه القصدية فهي من الشروط الواجب توفرها في النصوص التواصلية. يقول أبو هلال العسكري:" فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك؛ مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم و قوتهم في المنطق"[12]. إن الغاية من النص هي العمل على تبليغه بالطريقة المثلى، سواء بمراعاة موضوع الرسالة و كاتبها معًا/ أم بمراعاة الرسالة والمكتوب إليه معًا/ أم بمراعاة الكاتب و المكتوب إليه و موضوع الرسالة معًا. لأنك قد تراعي المسند/ أو المسند إليه/ أم العلاقة الإسنادية بشكل عام، لأن" ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، و هو الذي نسميه مقتضى الحال"[13].أمّا الخطيب القزويني فيحدد ذلك قائلا:" و أمّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[14]. تعتبر فكرة مقتضى الحال إذن طريقا إلى تحقيق بلاغة الكلام، إلى جانب العناية بنظم الجمل النظم الحسن حسب المقامات المناسبة لها و التي هي على التوالي: "

- المقاصد: التشكر/ الشكاية...
- المخاطب: بناء الكلام على استخبار أو إنكار/ الكلام مع الذكي أو الغبي.
- سياق المقال: مقام الكلمة مع الكلمة.

وما أجمله السكاكي من أحوال و مقتضيات فصّله على مدار أربعة فنون:

- الفن الأول:في تفصيل اعتبارات الإسناد الخبري.
- الفن الثاني:في تفصيل اعتبارات المسند إليه.
- الفن الثالث:في تفصيل اعتبارات المسند.
- الفن الرابع:في تفصيل اعتبارات الفصل و الوصل و الإيجاز و الإطناب.

و حين نقرأ تفصيل كل فن من هذه الفنون، و نرصد كل حال و ما تقتضيه، يتبين لنا أن الأحوال تنحصر في ثلاثة:

1 ـ المتكلم 2 ـ علم النحو 3 ـ السامع

و أنّ أكثرها تأثيرا أو اقتضاء هي تلك التي تتصل بالمتكلم، و أقلها تلك التي تتصل بالسامع، و بينهما تأتي المتصلة بعلم النحو"[15]. و إذًا فلقد اهتمت البلاغة العربية بالتقعيد للمناحي التي تحيط بالنص وتضمن إبلاغيته بما هو حَسَنٌ من خلال حدوث النجاح في الإبلاغ، فحددت الخطى اللغوية و غير اللغوية المساعدة على ذلك حيث ظهرت فكرة مقتضى الحال إلى جانب مسألة الإقناع بلغة النص وسياقاته المختلفة و ما إلى ذلك من الإرهاصات الهامة المساهمة في تبلور لسانيات النص.

مفهوم لسانيات النص وموضوعها:

لسانيات النص:"فرع علمي بكر، تشكل تدريجيا في النصف الثاني من الستينيات و النصف الأول من السبعينيات، و منذ ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهارا عظيما، و تشهد المراجع المتخصصة الوفيرة على القدر الكبير الذي شارك به هذا الوافد الجديد، مشاركة فعالة مع العلوم اللغوية في استمرار تطور علم اللغة على وجه الإجمال"[16]، فلسانيات النص من الفروع العلمية التي عُنيت بلغة النص وفق طرائق متعددة رغم صعوبة الإجماع على موضوع هذه الدراسة العلمية؛ لماذا؟ لأن مشكلة تحديد السمات الجوهرية للنص بوجه عام؛ أي خصوصيته من خلال الوحدات التي أُنتجت في الماضي أم التي يحتمل أن يَنتج منها لم تُحَل إلى يومنا هذا.

لقد تطور هذا العلم بشكل ملفت للانتباه في العشرين سنة الأولى من ظهوره، ناهيك عن كونه قد نظر إلى النص بشكل شمولي عبر كل ما ارتبطت به اللسانيات من علوم، وهو ما أبرزه بشكل واسع استفحال الغموض[17] في توسيع رقعته اللغوية عبر اتجاهات مختلفة؛ أي تطوره نحو اتجاه شامل، حيث أثارت هذه الخاصية حفيظة من انتقدوه، و"يدفع ذلك بأن توسيع مدى علم اللغة ليشمل نصوصا وكيفية عملها داخل الاتصال لا يشكك مطلقا في الحاجة الملحة إلى وصف دقيق لكل وحدة من الوحدات اللغوية الأساسية: الوحدات الصوتية (الفونيمات)، و الوحدات الصرفية (المورفيمات) والوحدات المعجمية (اللكسيمات)، و الوحدات النحوية غير المستقلة(السنتجميمات) و الجمل، ومشروعية ذلك الوصف، بل يجب كذلك أن تستكمل مثل هذه الدراسات اللغوية، بل و تعمق، حيث ينبغي أن يلعب جانب الكيفية المحتملة لأدائها في طرز نصية محددة و بشروط اتصال معينة دورا في ذلك أيضا"[18]؛ معنى هذا أن: لسانيات النص ذات موضوع محدد

هو دراسة لغة النص لكنه مجال تتقاسمه عدة علوم ولكنّها لا تلغي خصوصيته، لماذا؟ لأنّ كل العلوم التي تعينه و يستمد منها موضوعه هي علوم تنطلق من اللغة و تعود إليها حتى و إن لم تكن من مشمولات العلوم اللغوية كـ علم الاتصال مثلا... إنّه لمن العلمية إذن؛ أن نعترف بحاجة العلوم لبعضها البعض، ولو ضمن حدود إبستيمولوجية دقيقة؛ فلا مبرر لفصل علم لغة النص مثلا عن علم لغة الجملة و لا عن علم الاتصال، كما أنّه لا يمكن أن نبرر تطابقها بشكل تعسفي/ أي العمل وفق الحدود التكاملية دون التداخلية.

كيف يمكن للسانيات النص أن تكون علما شاملا أسسه لغوية و غير لغوية؟ ورد في كتاب مدخل إلى علم لغة النص أنه "لا يمكن أن يفهم علم لغة النص على أنّه علم شامل، وليس كذلك على أنه " علم النص" بمفهوم فان دايك Van Djik بل يجب أن ينحصر علم لغة النص في بحث أبنية النص و صياغاته، و ذلك من خلال تضمنها في سياقات اتصالية وسياقات اجتماعية و نفسية بوجه عام. و بناء على ذلك يجب أن تظل النصوص هي منطلق البحث اللغوي النصي و هدفه، و من الجائز حقا أن يعد تداخل الاختصاصات (تضافر العلوم) في معالجة النصوص في الوقت الحاضر شرطا ضروريا لمدخل منهجي موفق، دون توسيع مبالغ فيه لمجال الموضوع.ومن ثم يشكل النص نفسه الموضوع الأساسي و الأصلي لعلم النص. و هي المهمة المحورية لعلم لغة النص على الإطلاق"[19]. كيف ذلك؟ إن الإقرار بحاجة لسانيات النص إلى علم الاتصال مثلا لا يلغي فائدة ما هو غير لغوي؛ لكن الأهم في هذا هو الالتزام في هذا المستوى من الدراسة بما يخدم الصياغات اللغوية لا أكثر، " و نحن نعد مثل ذلك الوصف الشامل لوقائع الاتصال في إطار علم الاتصال أمرا ضروريا بلا ريب. غير أننا نقصر مفهوم النص(مع مراعاة المفهوم الشائع للنص أيضا) مؤقتا على إنتاج إشارات اتصالية لغوية وتلقيها. أما وصف أبنية الإشارات الاتصالية غير اللغوية ووظائفها (التي لها أهمي كبرى لفهم النص في الاتصال المنطوق)، و كذلك الربط بين منطوقات لغوية و تعبيرات غير لغوية ـ الذي لم يدرس إلى الآن إلا درسا محدودا ـ فلا يمكن أن يدرج بشكل منظم في دراستنا في الوقت الحالي"[20].لأن مجال العلامات النصية غير اللغوية ليس من صميم الدّرس اللساني، بل يدخل ضمن علم أوسع من اللسانيات وهو السيميولوجيا(Sémiologie) / أو السيميوطيقا (Semiotics)[21].

فضل سوسير في لسانيات النص:
لقد خلفت لسانيات سوسير المنحى الرئيس الذي سيمد لسانيات النص بمشمولات الأسس الدراسية العلمية. يقول تودوروف (Todorov):" تحدد اللسانيات موضوع بحثها في الجملة، وفي حالة قصوى؛ كما هو الحال عند سوسير فإن ما يمكن أن يعرف لسانيا يتوقف عند الكلمة أو عند التركيب. و لقد أرادت البلاغة الكلاسيكية أن تجعل لضوابط بناء الخطاب شرعة، و لكن قصدها المعياري وإهمالها للأشكال الكلامية الواقعية، جعلا ميراثها يشتمل على قليل من المعلومات التي يمكن استخدامها"[22]. لماذا؟ لأن " الملاحظ على علاقة النص بلسانيات الجملة أن التحليل اللساني قد توقف" بنفسه خلال زمن طويل عند الجملة، فقد كانت هذه مصممة بوصفها إطارا للإدماج الإجمالي لكل الوحدات الملائمة لسانيا، من غير اهتمام بالمستويات المحتملة للتنظيم العالي، و حتى الجملة بالنسبة إلى سوسير على كل حال باستثناء الجملة المصطنعة ـ فإنها لا تعد جزءا من لسانيات اللغة، و لكن من لسانيات الكلام:"الجملة هي نموذج التركيب الأمثل، و لكنها تنتمي إلى الكلام و ليس إلى اللغة"[23]. و بهذا يكون الدور الذي قام به سوسير هو إماطة اللثام عن الفروقات الجوهرية بين نمطي التمثيل النصي و لو في حدود الجملة. " وقد كان بلومفيلد من جهته يرفض أن يأخذ على عاتقه الوحدات الاستبدالية الأكثر امتدادا من الجملة"[24]. أما لسانيات هيلمسليف المنظوماتية(الغلوسيماتية) (Glossématique) " فإنها تبدو استثناء لأنها تعطي النص لنفسها ضمنيا بوصفه معطى منذ بداية التحليل، و لكن على الرغم من هذا المبدأ، فإن التحليلات المنجزة فعلا في إطار المنظومماية قد بقيت عموما في إطار قواعد الجملة"[25].رغم كون هيلمسليف من أبرز اللسانيين الذين طوروا اهتمامات سوسير إلى ما يسمى بالسوسيرية المحدثة.
يعود الفضل في المجهودات التي قام بها سوسير إلى موقفه في " منع التطابق غير المشروط للمبادئ العاملة على مستوى تركيبات الجملة، و إذا كان هذا هكذا، فإن اللسانيين عندما بدأوا بالاهتمام بالتنظيم النصي على نحو خاص، فقد حاولوا على العكس من ذلك، في فترة أولى أن يغيروا مواضع النموذج القاعدي للجملة، و هكذا فقد قام تحليل الخطاب (Z Harris) بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة: تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه. فالتحديد يريد لنفسه أن يكون نحوا محضا، أي إنّه لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقات الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوا"[26]. أي إننا نبني بهذا المنهج نصوصا غامضة و هنا علينا القول: إن القيود التي تحكم النصوص لا يمكن

أن تُختزل إلى قيود لسانية تعمل على مستوى الجملة و حسب؛ بل ما يتعدى الجملة إلى جمل تشكل الجملة الكبرى (النص).

التوجهات النصية بعد سوسير:

الشكلانيون الروس و البحث عن الأدبية:
لم تكن التصريحات و الأفكار في روسيا تتجاهل روح العصر الذي تنتمي إليه، لذلك فقد ظهرت فكرة التجريد بشكل ملفت للانتباه داخل الغليان السوفييتي و الثورات في روسيا، كما برزت مظاهر التجديد في صفوف الشكلانيين في الثلث الأول من ظهورهم؛"إلى أن سُحق هؤلاء المفكرون والمبدعون من قبل (الكانوسا الإيديولوجية) على حد تعبير واحد من الممثلين لهذه التصفية/ج جورباتشوف/ في المؤتمر الأول للكتاب السوفييت في 1934/كانت المناقشات مرفوضة و إدانة الشكلانية و الحداثة(و كذا الفرويدية قضية مسموعة)، و قد نشر ابتداء من 1965 عدد من النصوص (النظرية)للشكلانيين الروس بفرنسا و بالخصوص في مجلات -_ Change Poétique و في مختارات نظرية الأدب. و نلقى في نظرية الأدب دراستين: (الفن كطريقة) لـ: شكلوفسكي 1917، و(نظرية المنهج الشكلي)1925 لـ إيخنباوم. و نلقى أيضا (الشكلانيون الروس تحت المحك)، 1924"[27].
الشكلانية الروسية كما يحددها أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر في القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان هي" اتجاه معروف جيدا في فرنسا، وذلك بفضل الأهمية التي كانت لها في تطوير البنيوية أثناء الستينات، و لقد كانت الشكلانية تمثل العنصر النواة لتطورات الشعرية في القرن العشرين بلا ريب، و إنه ليعود إليها أنها ألحت خصوصا على إمكانية دراسة الأعمال الأدبية و فائدتها بوصفها ((سلسلة)) خاصة، لا تختزل إلى مختلف القوى السببية الخارجة على الأدب و التي تمارس عليها، يجب على نظرية الأدب أن تحاول استخراج أدبية المؤلفات، أي الإجراءات التي تعد بها جزءا من الفن و من العمل الجمالي للسان، و بهذا فإن دراسة الأعمال العامة لم تعد تتحدد بكونها أدوات تاريخية فقط لمحاصرة خصوصية العمل الفردي، و لكنها صارت معترفا بها بوصفها هدفا إدراكيا مستقلا"[28]؛ و هو ما ظهر في أعمال "إخنباوم/ شكلوفسكي/ بروب/ فينوغرادوف/ جاكوبسون/تينيانوف/ توماشيفسكي.
نفهم مما تقدم أن الشكلانية الروسية هي الاتجاه الذي سلط الضوء على الجانب الجمالي لسانيا كما سعى إلى إبراز قيم الأدبية في النصوص عبر الجوانب الأسلوبية التي تبرز النواحي اللغوية للنصوص الأدبية، لاسيما و أن

من مثلها هم الضليعون في هذا الجانب، لأنها تدرس كما يقول إخنباوم:" الأدب بوصفه سلسلة من الظواهر الخصوصية، و تنظر إلى تاريخ الأدب على أنه تطور ملموس و خصوصي للأشكال و التقاليد الأدبية"[29].علما أن الشعرية تعود إلى أرسطو في إطار دعوته إلى الفنية المرتبطة بالخطابات النصية لأجل هذا لا يمكن نفي قيمة مجهوداته بوصفها أولى إرهاصات النصية و مستلزماتها[30].لقد:" عرفت الشكلانية الروسية تطورات و انعطافات ملحوظة في إطار الحلقة اللسانية لبراغ، المؤسسة في عام 1926، و التي سيشكل جزءا منها قدماء الشكلانيين الروس، مثل جاكوبسون أو أبوغانيريف، ولقد اقترح ممثلها الأكثر أهمية (ج/ميكاوروفسكي) شعرية و اقترح بشكل أوسع جمالية) بنيوية ووظيفية في الوقت نفسه:لقد رأى أنّ الأدب يتحدد بوصفه شكلا من أشكال التواصل الكلامي الخاص، و هو شكل تهيمن عليه الوظيفة الجمالية"[31].الشكلانيون الروس هم إذًا تلك الجماعة من المفكرين الشبان الذين أرادوا التوصل إلى الأبعاد الحقيقية لأدبية النص الأدبي من خلال إضفاء الطابع الجمالي اللساني إلى جانب التركيز على الأبعاد الفنية التي تضمن الأدبية للنصوص.

يقول عبد القادر الغزالي:" إن الشعرية من العلوم التي عرفت تنوعات عميقة عبر مراحل تاريخية و اتجاهات فنية مختلفة. و يمكن أن نميز في تاريخ الشعرية بين لحظة قديمة يمثلها أرسطو بكتابه (الشعرية) الذي يعالج فيه أنماط الخطاب وصولا إلى الشعريات العربية و الأوربية الكلاسيكية وإلى لحظة حديثة ترتبط بحركة الشكلانيين الروس و ما أعقبها من توجهات عميقة في حقل الشعرية"[32].فالشعرية لا تزعم أنها نظرية للأدب[33] و لا يمكنها أن تكون كذلك؛ لأنها تعتبر جزءا من علوم اللسان لأنها تدرس الفن الأدبي لا بوصفه عملاً قِيمِيًا إنما بوصفه عملا تقنيا ذا إجراءات تقود إلى فهم أدبية النص الأدبي من حيث اللغة. موضوع الشعرية إذًا هو:" قبل كل شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا؟... و بما أن تنوعات البناء اللغوي تعتبر طرفا من الأطراف المنبثقة عن البناء اللغوي الأولي(الأصلي). فإن دراسة القيم المهيمنة في الأثر اللفظي تستند أساسا إلى معطيات اللسانيات و علم البنيات اللغوية الشامل، و هكذا فإن الشعرية كما يؤكد رومان ياكوبسون: تهتم بقضايا البنية اللسانية، تماما مثلما يهتم تحليل الرسم بالبنيات الرسمية، فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات و يترتب عن هذا التحديد ما يلي:

- اعتبار الشعرية فرعا من فروع الدراسة اللسانية التي تهتم بتنوعات البنية اللغوية- خاصة التنوع الذي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية -.

· التركيز على القيمة المستقلة للأثر الفني مع انفتاحها على الأنساق الدلالية الأخرى.
· اعتماد نظرة متفتحة لمجالات اشتغال اللسانيات"[34].
نفهم من هذا أن الشعرية قد عمدت إلى توضيح القيمة اللغوية لأدبية النص و فنيته ولاسيما تواصلية النصوص التي تشكل الدافع الأكبر الذي اهتم به جاكوبسون حتى يوضح البعد الفعلي لأي نص من النصوص[35].يقول ديكرو و سشايفر:" ثمة فكرة واعدة أكثر كان جاكوبسون قد دافع عنها والتي بموجبها يزود الأدب بوظيفة خاصة هي الوظيفة الشعرية. وقد كان لهذه الأطروحة الفضل خصوصا في إعادة تحليل النصوص الأدبية إلى المستوى الذي هو لها؛ أي إلى مستوى الأفعال الاستدلالية وليس إلى مستوى النسق اللغوي المستقل. و هذا لا يمنع أن الوظيفة الشعرية كما حددها جاكوبسون(تركيز للرسالة على شكلها الخاص)تميز الشعر خصوصا بالمعنى الضيق للمصطلح و لا تستطيع أن تزعم بأنها تكشف عن وظيفة القصة الأدبية"[36]. هذه الوظيفة التي يجب الانتباه إلى ان فنيتها أو أدبيتها لا تتحقق بعيدا عن التشكلات النحوية و لا البلاغية و لا الدلالية.

لسانيات الجملة و النص (من النحو إلى الجُمَل):
لم تنل الدراسات النحوية حقّها من التجديد حتى الثلاثينيات من هذا القرن حيث كان من الواجب الاعتناء بفهم الجملة من خلال العلاقات القائمة بين الأجزاء التي تكونها مع التركيز على الأطراف المشاركة فيها من الداخل و من الخارج. و الذي لفت الانتباه إلى هذا الإجراء هو: بوهلر وجاردنر. حيث أضحت الجملة نموذجا فيزيائيا يتجاوز البعد الذهني السابق فحددت "بأنها وحدة لسانية وحّد التنغيم بين أجزائها ـ وهي الكلمات ـ ليشكل منها بنية كلامية مفردة، و قد تبنى هذا التعريف على سبيل المثال عالم النحو الدانماركي أ/ دي جروت A . De Groot"[37]، فالجملة ليست انشغالا نحويا صارما دون حاجة إلى الصرف، و هو ما ركز عليه رواد النحو و الصرف معا في مدرسة بيل. لأجل هذا اهتم اللسانيون بالمقاربة التوزيعية خاصة جيل بول جرافينPaul Gravin كما ظهر النحو التوليدي(grammarGenerative)حتى يتم الكشف عن القواعد المتحكمة في بنية الجملة، فاعتاد العلماء في هذه المرحلة إطلاق مصطلح النحو التحويلي(Tranformational grammar) على نمط من أنماط النحو التوليدي*. يقول أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر:" يعود الفضل إلى سوسير في منع التطابق غير المشروط للمبادئ العاملة على مستوى النصية مع المبادئ العاملة على مستوى تركيبات الجملة، و إذا كان هذا هكذا، فإن

اللسانيين عندما بدأوا بالاهتمام بالتنظيم النصي على نحو خاص، فقد حاولوا على العكس من ذلك في فترة أولى أن يغيروا موضع النموذج القاعدي للجملة.
تم التغلب على الوصف النحوي الخاص بالجملة المفردة فتوسعت نظرية النحو التي قدمت مفهوم الجمل المتجاورة التي تشكل النصوص المختلفة، و يعتبر العالمان (الروسي بشكوفسكي Peskovskij و الألماني بوست Boost) ممهدا الطريق إلى هذا المفهوم الهام، حيث وُسع مجال القواعد[38]، و أضحت المناهج التي تدرس الأسس الخاصة بالجملة تختص كذلك بالنصوص التي تتكون أساسا من جمل مفردة سيهتم بها نحو النص). لكن بشرط هام هو أن النصوص ما هي إلا كليات متجاوزة للجمل. يقول(قولفجانج هاينه مان) و(ديتر فيهجر):" و لما كان تجاوز حد الجملة أمرا أساسيا لإدراك النصية فقد وصفت النصوص بأنها كليات متجاوزة للجمل(فهي متجاوزة للجمل، لأنها تعرض وحدات خلف حد الجملة"العبارة"Phrase beyond the sentence"[39]. لقد بدأت البراهين بافتراض أوجه اتفاق بين الخواص الكلية للجمل و النصوص بهذا الشكل:
· " لا يمكن تحديد عدد نهائي من جهة الكم للجمل أو النصوص في كل لغة على حدة.
· تعد كل من الجمل و النصوص ناقلات للموضوعات و مصوغة صياغة زمنية.
· كلتا الوحدتين لهما في حد ذاتهما طابع بنيوي و يتكونان من عناصر لكل منهما علاقة بالآخر.
· يمكن أن تأتلف الجمل و النصوص على أساس نماذج معينة في أقسام، و تقوم هذه الأقسام بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة و تلقيها"[40].

و بهذا تجسدت المحاولات الأولى في الانتقال من تحليل الجملة إلى أزواج من الجمل كما كان إيزنبرجH Isenberg/ أول من حاول تطوير نحو شامل للنص. و بذلك تشكلت داخل قواعد توليد الجملة المستخدمة في الأنحاء التوليدية لإنتاج الجمل "قاعدة النص" التي يمكن أن توسع بمساعدتها الجملة المفردة في النص"[41].الجمل في لسانيات النص إذًا هي " عبارات نصية في الدرجة الأولى بوصفها (سلسلة من الجمل)، و ستسمى مثل هذه السلسلة (التتابع)، و يكون مثل هذا التتابع منظما"[42].لأنها تعكس بنية نصية لابد أن تتماسك أجزاؤها و وإلا مسها التفكك و خرجت إلى مستويات أقل؛ أي إنها

لن تشكل بعيدا عن التماسك بالتتابع اي ارتباط بمشمولات النص و لن تسمى حينئذ جملة كبرى.

محاولة هاريس من خلال تحليل الخطاب:
شكل عمل هاريس مرحلة ما بعد بلومفيلد، حيث ظهر كتابه(مناهج اللسانيات البنيوية) عام 1951(Zelling Harris, Methods in structural linguistics)، والذي قدم من خلاله منطق العلاقات التوزيعية، ثم مالبث عدل عن ذلك و تحول إلى فكرة التحويل منذ عام 1952في مقال عنوانه(الثقافة و الأسلوب في الخطاب المطول)(Culture and style in extended discourse). يقول أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: " و هكذا فقد قام تحليل الخطاب (Z Harris) بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه. فالتحديد يريد لنفسه أن يكون نحوا محضا، أي أنه لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقة الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوا"[43].فمنهج هاريس مع احترامه لهذه المعايير إلا أنه يحيلنا إلى إمكانية بناء نصوص غامضة لأن بنية نص ما لا يمكنها أبدا أن تقتصر على الحدود اللسانية الخاصة بالجملة[44].
لقد قام هاريس بدراسة الجمل وفق الوحدات الممكنة في لغة من اللغات بمعنى كما يقول أحمد يوسف في تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات:" يجب أن تتوافر فيها القابلية للتحقيق بهذا التصور لقواعد الجمل. يظل تحليل الخطاب يبحث عن معرفة المقاييس و بنائها، و كذلك اعتبار مجموعة من السلسلات الوصفية على أنها متتاليات لجمل ملفوظة(Phrases-enonces) فهي تشكل في نظر هاريس مؤسسة لشبكات من التكافؤ بين جمل و جمل متتالية"[45]؛ حيث تتفرع إلى هذه الجمل إلى قسمين اثنين:
· "مفهوم الأصولية: هي الجملة الصحيحة نحويا و منطقيا.
· مفهوم دلالة الجملة:من مشكلات اللسانيات أنها تجد صعوبة في " تحديد ماهية الجملة؛ فإذا كانت تتألف من عناصر تعود إلى ثبت مغلق، ومن أصوات محدودة العدد ترتبط بالمعنى... و لكن...هناك أيضا بنى و جمل تختلف في معناها و تتحقق بأشكال متشابهة، و هناك أيضا بنى و جمل تتشابه في معناها و تتحقق بأشكال مختلفة.
إن تحليل الخطاب دفع هاريس إلى تعريف مجموعة من التكافؤ و التقارب بين ملفوظين؛ حتى يبرز طريقته المنهجية التي ركزت على النص الإشهاري..."[46]، و هي من الدراسات المعاصرة التي دفعت بالنصوص إلى الآلية و تنوعاتها التحليلية والتواصلية. لقد سمي القرن العشرين بامتياز

قرن النص بكل ما شهده من نظرات علمية وعملية اهتمت بمفهوم النص و تفاعلاته المختلفة، حيث أوجدت هذه التنوعات مفاهيم موازية هي: الخطاب، المدونة...، و هو ما أثمر تطورا مس المفهوم والتصور في الوقت نفسه وهو ما نلاحظه عبر ما يلي:

أولا:
مثلما أشرنا في علاقة النص بلسانيات الجملة فإن النّص قد أخذ منذ سوسير طريقا إلى تفعيل حركية الجمل التي تشكل النصوص بداية من أعمال هاريس في تحليل الخطاب.
ثانيا:
المحاولة الثانية بالذهاب بعيدا في مفهوم النص هي كما ورد في القاموس الموسوعي لعلوم اللسان:" على نحو خاص الوصف المستوحى من من اللسانيات البنيوية: يحلل النص هنا تبعا لمميزات المستوى نفسها وهي تعمل على مستوى بنية الجملة، و لقد اقترح تودوروف (1969- 1971) أن نميز بين الوجه الشفاهي للنص، وهو الوجه الذي يتكون من كل العناصر اللسانية بالذات(صوتية، قاعدية، إلى آخره) للجمل التي تكونه، والوجه النحوي الذي يحيل ليس إلى نحو الجمل ولكن إلى العلاقات بين الوحدات النصية(جمل، مجموعات من الجمل، إلى آخره)، و الوجه الدلالي، و هو إنتاج معقد للمضمون الدلالي للوحدات اللسانية، و تحتوي دراسة الوجه الشفوي أيضا دراسة الوقائع الأسلوبية، و كذلك أيضا دراسة الظواهر الأكثر بدائية مثل طول النص، إلى آخره"[47].أضف إلى ما تقدم أن الاهتمام بالنص قد تنوع ضمن اهتمامات تعليمية و أخرى نفسية واجتماعية لكنها كلها صبت في إطارين هما:
الإطار الأول:بنيوي اهتم ببديهية "التماثل بين التنظيم اللساني للجملة و تنظيم النص"[48].
الإطار الثاني:اختص به التوليديون عبر "وجود القواعد النصية العميقة و التي لها نفس المكانة التي لقواعد الجملة"[49].
نفهم مما تقدم أن النص قد شكل حلقة هامة التف حولها الباحثون و أولوها العناية البارزة التي و رغم التطورات التي تحياها تبقى بحاجة إلى إسهامات متعددة و حثيثة خاصة وأننا أمام تحدي النصوص الآلية و الرقمية التي تتطلب المجهودين اللساني والآلي.

قضايا لسانيات النص
أ ـ تحديد مفهوم النص و إشكالياته
أولا: النص من منظور لغوي بحت:
ورد في لسان العرب أنّ:" النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا؛ رفعه وكل ما أُظهر فقد نُصَّ... و أصل النص أقصى الشيء و غايته، ثم سمي به ضرب من السير السريع..."[50].
النص (Texte) هو: "مجموع ملفوظات توضع للتحليل، النص إذًا هو عينة لسلوكات لسانية يمكن أن تكون مكتوبة أو منطوقة، يأخذ لويس هيلمسليف كلمة نص في معناها الأكثر اتساعا على أنها تعني بهذا ملفوظا مهما كان سواء منطوقا أم مكتوبا؛ طويلا أم قصيرا، قديما أم جديدا."توقف" هو نص أحسن بكثير من رواية " الوردة". كل مادة لسانية مدروسة تشكل بالضبط نصا، الذي ينحدر من لغة أو من عدة لغات..."[51].، كما يعود إلى الكلمة اللاتينية (Textus)/و التي تعني: النسيج أو الأسياج المضفرة. من الفعل: (Textere) أي: نسج أو ضفر، كما تطلق كلمة Texteعلى الكتاب المقدس كما عنت منذ العصر الإمبراطوري ترابط حكاية أو نص. يقول جولفجانج هاينه: "وأمثلته: الرسالة، الرواية، المقالة العلمية... غير أن هناك متشابهات كثيرة: فهل يطلق عن محادثة الهاتف نصا! على أغنية أو رسم دال على رمز أو فكرة أو إعلان بمكبرات الصوت في محطة القطار ؟ هل تعد إشارات المرور الضوئية بألوانها المختلفة، و بما يتوصل بها من معلومات أيضا((نصوصا))...عند الإجابة عن هذه الأسئلة تختلف الآراء كثيرا... و من ثم يجب على علم النص أن يحاول قبل كل شيء إزالة أوجه التناقض عند تحديد المفهوم، و تقليل أشكال الغموض بالكشف عن معايير لتحديد النصوصمن اللانصوص بل لتحديد الأقسام المختلفة للنصوص أيضا"[52]. لأن الإشكال الحاصل لا يمس لسانيات النص بشكل عام بقدر ما يمس تقاطع المفاهيم المختلفة بين مجموعة من المصطلحات كـ:الرسالة، الملفوظ، المدونة...و لأجل هذا لا نكاد نعثر على تحديد نهائي لها لأن تقاطعاتها أكثر بكثير من تميزها الواحد عن الآخر(المصطلح عن الآخر). نفهم من هذا أن النص هو تلك الحمولة اللغوية التي لا يهم طولها أو قصرها، كما لا يهم كونها المنطوق أو المكتوب...

ثانيا: المفهوم الموسع للنص:
المفهوم السيميولوجي:
النص من المنظور السيميولوجي هو ما يعتبر "ملفوظا، فالنص مقابل للخطاب انطلاقا من محتوى العبارة؛ سواء أكان مكتوبا أم متلفظا به، موظفا

لظهور الفعل اللساني، حسب بعض اللسانيين رومان جاكوبسون: العبارة الشفوية و الخطاب بالنتيجة هو الفعل الأول. الكتابة لن تكون إلا مشتقة؛ أي ترجمة للإظهار الشفوي"[53].فالنص خطاب شفوي أو مكتوب، أي إن الخطاب هو الفعل المترجم للنص من الجانب الشفوي؛ وهو مجموع ملفوظات تعكس العلامات اللغوية و غير اللغوية بموجب مبادئ السيميولوجيا التي لا تتوقف عند الجوانب اللغوية و حسب، أضف إلى هذا أنّ النص من الوجهة السيميولوجية هو مجموع علامات لغوية وغير لغوية، أظهرها إلى الوجود السيميائيون السرديون ومن حمل معهم لواء تحليل النص سيميائيا سواء منه السردي مع المدرسة الغريماسية أم مع مولينو في دراسته للنص الشعري، وللتبسيط أكثر، فإن السيميوطيقي في تعامله مع النص الحكائي أو السردي يدرس على المستوى السطحي البرنامج السردي ومكوناته الأساسية، وعلى المستوى العميق يدرس المكون الدلالي، لأنّ التحليل السيميائي هو ذاته تحليل للخطاب، وهو يميز بين "السيميوطيقا النصية " وبين اللسانيات البنيوية لأن التحليل السيميائي للخطاب ينطلق مما انتهت إليه جهود اللسانيين حول النظرية العامة للغة. فالخطاب يطرح في كل الأحوال مسألة علاقته بالتلفظ وبالتواصل. ولكن المجال السيميائي يهتم بأطره المرجعية مثل الإيحاء الاجتماعي ونسبته للسياق الثقافي المعطى المستقل داخل تحليله التركيبي أو الدلالي.

تتطلب دراسة النص تحليل " النسق الدال الذي ينتج ضمنه لسان ولغة مرحلة ومجتمع محددين[54]؛ أي إنه معطى أولي مفتوح على التحليل عن طريق مستقبل مفكك للسنن في ضوء الطبقات الدلالية والأوصاف اللّسانية. نستنتج مما ذهبت إليه جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) أن تموضع النّص على هذه الشاكلة يحوي قاعدة تمكن اللّسانيات من أن تصبح النموذج العام لكل سيميولوجيا، بالرغم من كون اللّسان ليس سوى النسق الخاص ضمن الأنساق السيميولوجية، فبهذا" فتحت أمام السيميائيات إمكانية الانفلات من دلالة الخطابات كأنساق للتواصل"[55]. نَلفي ضمن الإطار نفسه تقريبا أنّ طبيعة النّص موجهة بشكل أو بآخر لوظيفته التواصلية، كما يمكننا أن ننظر" إلى النّصوص كتشييدات من متتالية من الجمل، فالجملة عنصر أو وحدة أو مكون في نص ما، والنّص مُشَكّـّـَل من جمل بالمعنى العادي"[56]، أي ما يخص وحدات النّص التي تكون جملة كبرى، حيث تصبح بنيته محتملة كونها نسقا جمليا، أو جملة يؤلفها نسيج ذو عناصر تركيبية تظهر أهميتها التنظيمية داخل البنية، و من خلال مستويات تشكل الإنتاجية الدلالية[57].

ثالثا : تحديد خصائص النص:
1 ـ التماسك (الاتساق و أدواته):
يشير مصطلح التماسك كما ورد في القاموس الموسوعي لعلوم اللسان "إلى الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية أو بين الجمل، ولاسيما الاستبدالات التركيبة التي تحافظ على هوية المرجع، و لكنها تحافظ أيضا على التوازي، و على التكرار أو على الحشو. ويعد تماسك الجملة المنتقلة جزءا مباشرا من التحليل النصي"[58]. معنى هذا أنّ: التماسك مرتبط ارتباطا وثيقا بالمستوى النحوي، حيث يخضع من الناحية النحوية إلى إعادتين إعادة صريحة و أخرى ضمنية؛ فأما الإعادة الصريحة فهي التي" تكمن في تطابق الإحالة(تساوي الإشارة) لتعبيرات لغوية معينة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يكرر تعبير معين(كلمة أو ضميمة مثلا) من خلال عدة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية، ويعني مفهوم المطابقة الإحالية...أشخاصا، أشياء، و أحوالا، ووقائع، و أفعالا، وتصورات..."[59]. مثال ذلك: " كان رجل في الطريق على عجلة، و أراد (هو) أن يصعد (هو) جبلا، فرأى(هو)شيئا ملقى على الأرض، فتوقف(هو) عنده،كان الرجل يدعى أوبرستالن ، و لم يكن يرى(هو) في نفسه شيئا ذا قيمة، و لم يكن ليلفت نظر أحد..."[60]، فلقد قادتنا الإحالة الصريحة إلى تقديم نص متماسك نحويا بضمائر معينة سمحت من خلال احترام القاعدتين الصرفية والنحوية معا بتحقيق التماسك النصي و تفعيله بتفادي التكرار المخل بالمعنى والتركيب كذلك.
أمّا الإعادة الضمنية فهي:"على النقيض من الإعادة الصريحة، بأنه لا توجد بين التعبير المستأنِف (بكسر النون) ... و التعبير المستأنَف (بفتح النون) ، أية مطابقة إحالية. فكلا التعبيرين يستند إلى أصحاب إحالة مختلفين، أي إنه يُتَحَدث عن أشياءَ مختلفة وأشياء من هذا القبيل، و لكن بين هذه الأشياء توجد علاقات محددة، من أهمها علاقة الجزء بـ الكل أو علاقة الاشتمال"[61].مثال ذلك: " كان بيت الجملون الرمادي الذي نشأ فيه يوهانس فريدمان، عند البوابة الشمالية للمدينة التجارية القديمة الكبيرة إلى حد ما. دخل رجل من خلال باب البيت دهليزا واسعا مبلطا بالحجارة، يوصل منه سلم له داربزين مدهون باللون الأبيض إلى الأدوار، تظهر بطانة جدران غرفة الجلوس في الدور الأول مناظر ريفية باهتة"[62]؛ يُظهر هذا النص كفاءة عالية في الإعادات الضمنية التي تُمكِّننا من ربط أجزاء النص و الحصول على التماسك الضمني دون جهد؛ فالإعادة بنوعيها وسيلة هامة لتكوين النصوص المختلفة، و لكن علينا أن نعرف أنها ليست تحقيقا للترابط

دائما، فليس كل تتابع للجمل في نص من النصوص هو تماسك نحوي صارم مثلما يعكسه النص الأخير.
مثلما كان النحو أساسا في تحقيق التماسك فإن للموضوع دوره أيضا في ضبط التماسك، إذ لا يمكن أن تتحقق وحدة نصية ما دون أن يكون هناك انسجام بين مكوناتها أي تراكيب النص و سياقاته المختلفة." إنه لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، و لكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي، بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية (آدام 1989): يتضمن الانسجام التتابع و الاندماج التدريجي للمعاني حول(موضوع للكلام). وهذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناء عقليا. و يمكن للروابط بين المتصورات أن تكون من طبيعة مختلفة:سببية، غائية، قياسية، إلى آخره "[63].

رابعا:الانسجام:
ورد في القاموس الموسوعي أنّ الانسجام" لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، ولكنّه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية.يضمن الانسجام التتابع و الاندماج التدريجي للمعاني حول (موضوع للكلام)، وهذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناء عقليا، و يمكن للروابط بين المتصورات أن تكون من طبيعة مختلفة: سببية، غائية، قياسية، إلى آخره"[64].كما أورد أحمد مداس في كتابه لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري أنّ البحث في الانسجام يستند على" الوصل و الإحالات و الاستبدال والحذف".[65]
تكاد الفروقات الفعلية بين المصطلحين لا تظهر للوهلة الأولى، لأنهما متداخلان وأحدهما يقود إلى الآخر، " و إن مشكلة الحدود بين التماسك و النصي(الذي تحققه أدوات لسانية محضة)، والانسجام النصي(الذي يستخدم سيرورات إدراكية غير لسانية) مشكلة ومعقدة. وهكذا... لأنّه من المحتمل أن عددا معينا من الوقائع النصية التي نعدها عموما جزءا من الانسجام، تستطيع أن تفسر بمصطلحات التماسك. أي بمصطلحات لسانية محضة"[66]. ما معنى هذا؟ معنى هذا أن التماسك أو الانسجام لا يكونان إلا بالنمو النصي مثلما ستوضحه لنا العناصر الموالية:
من التماسك و الانسجام إلى السمات الدلالية :
السمات المعجمية و الأوجه الدلالية للنصوص من خلال التماسك:
هي نظرية تعود إلى غريماس (Algirdas Julien Greimas) زعيم مدرسة باريس السيميائية. حيث ركز في هذه الفكرة على مصطلح

التناظر(Isotopie) القائم على عنصر التكافؤ الدلالي بين الوحدات المعجمية في النصوص، "و تشكل الوحدات المعجمية للنص ذاته المترابط على ذلك النحو سلسلة تناظر/ سلسلة بؤرة. و في حال النصوص الكبيرة تشكل عدة سلاسل من التناظر للنص الكامل التي تعد بدورها ذات كفاءة تفسيرية حاسمة لتماسك النص، و يمكن أن تبرز الأشكال التالية لتشكيل تلك السلاسل من التناظر بعضها من بعض.

· إعادة بسيطة/ التكرير/: سائق- سائق
- استئناف متنوع
o من خلال لفظ أشمل: سائق – قائد وسيلة نقل
o من خلال لفظ مضاد: سائق – مار
o من خلال عبارة مفسرة: سائق – هو
- استبدال عنصر نحوي به: سائق – هو
و يستكمل هذا التكافؤ المنظم بملامح خاصة بدلالة النص (التكافؤ الوظيفي)
o كارين.....
o .....صغيرتنا
o .....الشقراء
o .....هي.....
o .....كارين.....
o .....صديقها.....

إنّ سلاسل التناظر تبلغ السامع في أثناء عملية الفهم أوجه الترابط الدلالي"[67].نفهم مما تقدم أن الوجه الدلالي هو ما يوجه التماسك في ضوء السمات المعجمية المتناظرة والتي تساهم بشكل أو بآخر في ربط التلاحم العقلي بين الدلالات المختلفة انطلاقا من السلسلة المعجمية المتناظرة داخل النصوص. لكن دائما في إطار تطابق الإحالة التي تعد من شروط الجمل الكبرى أي النصوص. أمّا في حال غياب التماسك فنلاحظ أن العلاقات الدلالية قد تفقد قيمتها في وحدة النص، فلا يمكن فهم النص بناء على السمات المعجمية وحسب، فرغم وجود سمات دالة متكررة وجمل متجاورة متتابعة إلا أنها لم تشكل نصا.
نخلص مما تقدم إلى القول: إن علم النص من العلوم الحديثة الموغلة في الأسس اللغوية سواء منها البلاغية أم النحوية أم الدلالية و المعجمية. إنّه علم يخضع في المشكلات التي تعترضه إلى كل الصعوبات التي تخص النص و

مفاهيمه الإجرائية الدقيقة، ناهيك عن صعوبة عملية التواصل التي كانت و لا تزال مشكلا منذ العقود السالفة، لأن من جملة الإشكالات التي تضاف إلى النص مهما كان النص، أنه قد شهد التطور و مسته اللسانيات الحاسوبية (Computational lnguistics) بخصوصيتها بوصفها نقلت المعالجة النصية إلى الحوسبة ذات الذكاء الاصطناعي، هن هنا تنفتح مجالات العلوم على تطور البحث اللساني ذاته و الذي يعطي للبعد الإجرائي الآلي مكانته في الموحلة القادمة من مراحل لسانيات النص في مواجهتها لتحديات النصوص الرقمية.

الهوامش:

[1] بعد الجهود البلاغية الهامة التي أرساها أرسطو و البلاغيون العرب القدامى، نلاحظ بروز البلاغة الجديدة التي نمت مع الخمسينيات من القرن الماضي(20)، حيث" ولد مصطلح "البلاغة الجديدة" ذاته عام 1958 في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولوني المولد البلجيكي المقام' بيريلمان Perelman، تحت اسم مقال في البرهان:البلاغة الجديدة..وقد عرفت هذه المدرسة بمدرسة بروكسل و تفرعت إلى تيارات عديدة متحالفة في الأعوام التالية...أما التيار الثاني في البلاغة الجديدة..فقد نشأ في منتصف الستينيات من هذا القرن وامتد مشروعه خلال العقدين التاليين... وقد نشأت هذه البلاغة الجديدة في حضن البنيوية النقدية ذات النزوع الشكلاني الواضح... يمثلها:جيرار جنيت، تودوروف، جان كوهين...أنظر: صلاح فضل. بلاغة الخطاب و علم النص. مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان1996. ص:90. 91. 92. (بتصرف).

*ظهروا في اليونان ما بين عامي:450/400 ق م. و هم جماعة من المعلمين اتخذوا التدريس حرفة ينتقلون من مدينة إلى أخرى يعلمون الناس فنون الخطابة و البلاغة و الجدل و الرياضيات...

[2]عباس أرحيلة. الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.الرباط المغرب. 1999. ص: 146، 147.

[3]لفقد اختار أفلاطون الحوار طريقا له أخذه عن أستاذه سقراط، و بما أن النص الشعري يشيع الإحساس فإن الانفعال بالنسبة إليه لابد أن يموت جوعا، لذا طُرد الشعراء من الجمهورية؛ لأن إثارة الانفعالات لا تُرضي الفلاسفة. و لذا فعلى المستمع أن يفهم النص الموجود أمامه، لأنّ المنشد لا يكون منشدا إذا لم يفهم كلام الشاعر، إذ يجب عليه أن يفسر الكلام للمستمعين. أنظر:المرجع نفسه. ص: 155-156.

[4]أفلاطون. جمهورية افلاطون. نظلة الحكيم. محمد مظهر سعيد.دار المعارف مصر1963. ص:53.

[5]أرسطو طاليس.الخطابة.(الترجمة العربية القديمة). تر: عبد الرحمن بدوي. وزارة الثقافة و الإرشاد القومي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. 1959.ص:80.

[6]المصدر نفسه. ص: 80-81.

[7]قولفجانج هاينه مان و ديتر فيهجر. مدخل إلى علم لغة النص. تر: سعد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.ط1. 2004.ص:11.

[8]أرسطو طاليس. كتاب أرسطو فن الشعر. ملحق به أوثق ترجمة إنجليزية للعلامة إنجرام باي ووتر.تر: إبراهيم حمادة. المكتبة الأنجلو مصرية. 1989.ص:176.

السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع. دار الفكر بيروت.2003.ص:29. [9]

المرجع نفسه. ص: 29 (الهامش). [10]
جميل عبد المجيد.البلاغة و الاتصال. دار غريب. القاهرة.2000. ص:22،21 [11]
[12]أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين. تحق: علي محمد البجاري. و محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار الفكر العربي. ص: 160
السكاكي.مفتاح العلوم . ط2. مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر. 1990. ص:95. [13]
[14]الخطيب القزويني. الإيضاح . شر و تع. محمد عبد المنعم خفاجي. الشركة العالمية للكتاب. 1989. ص:80.
البلاغة و الاتصال.ص: 34، 35. [15]
[16] قولفجانج هاينه مان و ديتر فيهجر. مدخل إلى علم لغة النص. ص: 13.
[17]أنظر: المرجع نفسه. ص:13 (بتصرف)
[18] السنتجميمات هي تعريب لـ Syntagmes؛ أي الوحدات النحوية غير المستقلة(التابعة لبعضها البعض). أنظر: المرجع نفسه. ص: 6.
المرجع نفسه. ص: 8 - 9. [19]
[20]المرجع نفسه.ص: 9.
[21]ظهر مصطلح السيمياء*في العديد من المدونات لكنّ العلم في حدّ ذاته وتجلّيه في شكل نظرية لا يختلف حوله اثنان من أنّه قد ظهر مع بورس الأمريكي بمصطلح " السيميوطيقا" (Semiotic)، و عند سوسير بمصطلح السيميولوجيا(Sémiologie)، ". أنظر: جيرار دورودال. السيميائيات أو نظرية العلامات. تر: عبد الرحمن بوعلي. دار الحوار. ط1 2004. ص:41.
[22] مجموعة من الباحثين. العلاماتية و علم النص. تر: منذر عياشي..المركز الثقافي العربي.ط1. 2004.ص:109.
المرجع نفسه. ص:120. [23]
[24]المرجع نفسه. ص: ن.
[25] المرجع نفسه. ص: 120 - 121.
المرجع نفسه. ص: 121. [26]
[27]آن إينو. تاريخ السيميائية.تر: رشيد بن مالك. مراجعة: عبد القادر بوزيدة. بد الحميد بورايو. منشورات مخبر الترجمة والمصطلح. جامعة الجزائر و دار الوفاق.2004.ص:90،89.
[28] أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. تر: منذر عياشي. المركز الثقافي العربي.ط2. 2007.ص:187.
[29] تاريخ السيميائية.ص:90.
[30]أنظر القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 177.
[31]المرجع نفسه:179.
عبد القادر غزالي.اللسانيات و نظرية التواصل.دار الحوار. سوريا.ط1، 2003.ص:43. [32]
[33]أنظر القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 177.
اللسانيات و نظرية التواصل. ص:45،44. [34]
[35]ملاحظة هامة: الشعرية ليست خاصة بالشعر فقط، إنّما تدرس أيضا في أشكال الرسائل اللفظية الأخرى، و غير اللفظية، كما تعمل الوظيفة الشعرية على إبراز قيمة الكلمات والأصوات و التراكيب...مُكسبة إياها قيما مستقلة المرجع نفسه. ص:50.
[36] ورد في القاموس الموسوعي ما يلي: " لقد سعت الشعرية خلال زمن طويل إلى استخلاص خصوصية الأدب انطلاقا من التأليف بين السمات النحوية والدلالية، و إنه ليكفي أن نذكر هنا المحاولات المتكررة و الهادفة إلى إنشاء لغة خاصة، هي اللغة الشعرية. فلقد صاغ الرومانسيون أطروحة من هذا القبيل. و قد ذهبوا إلى حد القول إنّ اللغة الشعرية تستخدم لنفسها نموذجا من العلامات الخاصة، إن الرمز بما إنه علامة محفزة لتتعارض مع العلامات القسرية للغة الناقلة. و قد كان هذا المشروع منذورا للفشل، و ذلك لأنّ كل التحليل غير المتوقع يبين بسهولة أنّ الكاتب، مثل أي واحد يستخدم اللغة العامة. أنظر: المرجع نفسه. ص:186 -187.
المرجع نفسه . ص: 378. [37]

* وهو ما أظهرته دراسات تشومسكي التحويلية و التي تحدد أصناف القواعد التي تعمل بعد التوصل إلى الخاص ببنية العبارة / أي المكون الذي ينتج البنية الأساسية للجملة (.المرجع نفسه. ص:379).
[38]أنظر: مدخل إلى علم لغة النص. ص: 19.
المرجع نفسه. ص: ن.[39]
المرجع نفسه. ص: 20. [40]
المرجع نفسه. ص: ن. [41]
[42] العلاماتية و علم النص. ص:148.
القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 534. [43]
[44]المرجع نفسه. ص:534.
[45] http.://maamri-ilm2010.
[46] Ibid.
[47]القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص:544،534.
المرجع نفسه. ص: 539. [48]
[49]المرجع نفسه. ص:539.
[50]ابن منظور. كتاب لسان العرب. تحق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله.هاشم محمد الشاذلي. دار المعارف. http://b.m93b.com/
[51] Jean Dubois et autres. Dictionnaire de linguistique et des sciences du langages.Larousse-Bordas/ HER.1999. P : 482.
مدخل إلى علم لغة النص. ص: 4. [52]
[53] A. J Greimas, J Courtès .Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Hachette- supérieur T 2. 1986 p : 1. -390.3891979
[54]جوليا كريسطيفا.علم النّص. تر : فريد الزاهي مرا: عبد الجليل ناظم توبقال لنشر.2. 1997.ص.10.
[55]المرجع نفسه. ص:15.
[56]روجر فاولر.اللّسانيات والرواية. تر: لحسن أو حمامة. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.ط1. 1997. ص:22.
[57]يقول برنار توسان: " نظريات جوليا كريستيفا صعبة إلى حد بعيد" من هنا فإننا نسعى جاهدين لفهم ما ترمي إليه نظريتها بدءا من: 1السيمانااليز:هي التركيب بين الخطاب السيميولوجي و التحليل النفسي النظري. 2تعدد الأصوات:وهو ما يعتمد على التفاعلات الأساسية الإيديولوجية و التاريخية الدالة بين الموسيقى/ النص الأدبي...و غيرهما، و هي محاولة تنظيرية سعت إليها كريستيفا لكنها ظلت محاولة يائسة...أنظر: برنار توسان. ما هي السيميولوجيا. تر. محمد نظيف. أفريقيا الشرق. 2000. ص: 91.
[58]القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص:540.
[59]كلاوس برينكر.التحليل اللغوي للنص. مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج. تر: سعيد حسن البحيري. مؤسسة المختار. ط1 2005. ص: 38.
[60]المرجع نفسه.ص : 38. 39. (بتصرف)
[61]المرجع نفسه. ص:49.
المرجع نفسه. ص: 49. [62]
القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 541.[63]
المرجع نفسه. ص: 541. [64]
[65]أحمد مداس. لسانيات النص. نحو منهج لتحليل الخطلب الشعري. جدار للكتاب العالمي/ عالم الكتب الحديث/إربد الأردن. 2007. ص: 247.
[66]المرجع نفسه. ص: 247.
[67] مدخل إلى علم لغة النص.ص: 34.

قائمة المصادر و المراجع:

1. ابن منظور. كتاب لسان العرب. تحق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله. هاشم محمد الشاذلي. دار المعارف. http://b.m93b.com/
2. أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين. تحق:علي محمد البجاري. و محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار الفكر العربي.
3. أحمد مداس. لسانيات النص. نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري. جدار للكتاب العالمي/ عالم الكتب الحديث/ إربد الأردن. 2007. ص:.247.
4. أرسطو طاليس.الخطابة. (الترجمة العربية القديمة). تر: عبد الرحمن بدوي. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. .1959
5. أرسطو طاليس. كتاب أرسطو فن الشعر. ملحق به أوثق ترجمة إنجليزية للعلامة إنجرام باي ووتر.تر: إبراهيم حمادة. المكتبة الأنجلو مصرية. 1989.
6. أفلاطون. جمهورية افلاطون. نظلة الحكيم. محمد مظهر سعيد.دار المعارف مصر.1963
7. آن إينو. تاريخ السيميائية.تر: رشيد بن مالك. مراجعة: عبد القادر بوزيدة. بد الحميد بورايو. منشورات مخبر الترجمة والمصطلح. جامعة الجزائر و دار الوفاق..2004
8. أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. تر: منذر عياشي. المركز الثقافي العربي.ط2. .2007
9. برنار توسان. ما هي السيميولوجيا. تر. محمد نظيف. أفريقيا الشرق. 2000.
10. جميل عبد المجيد.البلاغة و الاتصال. دار غريب. القاهرة.2000.
11. جوليا كريسطيفا.علم النّص. تر : فريد الزاهي مرا: عبد الجليل ناظم توبقال لنشر.2. 1997.
12. جيرار دورودال.السيميائيات أو نظرية العلامات. تر: عبد الرحمن بوعلي. دار الحوار. ط1 2004.
13. الخطيب القزويني. الإيضاح . شر و تع. محمد عبد المنعم خفاجي. الشركة العالمية للكتاب. 1989.
14. روجر فاولر. اللّسانيات والرواية. تر:لحسن أو حمامة. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.ط1. 1997.
15. السكاكي. مفتاح العلوم . ط2. مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر. 1990
16. السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع. دار الفكر بيروت.2003.
17. صلاح فضل. بلاغة الخطاب و علم النص. مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان.1996
18. عباس أرحيلة. الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط المغرب. 1999.
19. عبد القادر غزالي. اللسانيات و نظرية التواصل.دار الحوار. سوريا.ط1، 2003.
20. فولفجانج هاينه مان و ديتر فيهجر مدخل إلى علم لغة النص. تر: سعد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق.القاهرة. ط1. .2004
21. كلاوس برينكر. التحليل اللغوي للنص. مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج. تر: سعيد حسن البحيري. مؤسسة المختار. ط1 2005.